مركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

سيرة "الناتو" الإمبريالية وضحاياها

الكاتب: بيليانا فانكوفسكا

المصدر: موقع "Counterpunch" نشر بتاريخ 11 تشرين ثاني 2024

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

سيرة "الناتو" الإمبريالية وضحاياها

الكاتب: بيليانا فانكوفسكا

المصدر: موقع "Counterpunch" نشر بتاريخ 11 تشرين ثاني 2024[1]

في صيف عام 1999، بعد أشهر قليلة من قصف حلف شمال الأطلسي لجمهورية "يوغوسلافيا" المستقلة، دون تفويض من مجلس الأمن في الأمم المتحدة، استمعت إلى محاضرة ألقاها البروفيسور الراحل يوهان غالتونغ، المعروف بنزاهته وشجاعته الفكرية، والملقب بـ "أبي أبحاث السلام".

لم يُلطّف غالتونغ الكلمات، وقال بصراحة: "هذا العالم لديه مشكلة اسمها الولايات المتحدة الأميركية".

للأسف، بعد 25 عاماً، تبدو كلماته نبوية أكثر من أي وقت مضى. أوكرانيا هي مجرد مثال واحد من بين العديد من الأمثلة. بعد نهاية الحرب الباردة، صوّرت الولايات المتحدة نفسها كصانع السلام النهائي والبطل العالمي للديمقراطية. ولكن بدلاً من حلِّ حلف شمال الأطلسي، الذي لم يعد مبرر لوجوده بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، سعى الحلف إلى التوسع بلا هوادة تحت ستار نشر السلام والديمقراطية.

ويبدو أن هذا الطاغوت عازم الآن على التحول إلى "حلف شمال الأطلسي العالمي" ، بمعنى آخر، يسعى لجعل الأمم المتحدة عتيقة. حتى الآن، نجح في إقناع الكثيرين منا بأن الأمم المتحدة باتت عاجزة وغير ذات صلة.

ومن الدروس المستقاة من بحوث غالتونغ ومن نهجه في تحليل الصراع لفهم أسبابه الكامنة، يجب تحديد ثلاثة عناصر رئيسية: المواقف، القوى المؤثرة والمستفيدة، والتناقض في الأهداف بين الجهات الفاعلة. وعلى أساس هذا التشخيص، يُحدّد العلاج.

لكن، وللأسف، يبدو الأمر كما لو كان العالم في ساعة مظلمة لدرجة أن التشخيصات الصحيحة والتنبؤات السليمة أثبتت عدم جدواها. فقد فشلت في منع الأزمة في أوكرانيا، ناهيك عن الصراعات المدمرة الأخرى، مثل الإبادة الجماعية المستمرة في فلسطين.

إن الإندفاع نحو التركيز على العلاج في كيفية إنهاء العنف يقع في مفارقة مزعجة، وفي سياق "أورويلي" - نسبة للكاتب جورج أورويل- لأن ما يُسمى الغرب الجماعي يُعامل أولئك الذين يدافعون عن وقف إطلاق النار ويتبنون السلام أو المفاوضات أو الحلول الدبلوماسية بريبة وعدوانية. وكما قال الصحفي المستقل آرون ماتي: "لا يوجد شيء أكثر إثارة للجدل من أي مقترح للسلام في وسائل الإعلام الحكومية التابعة لحلف شمال الأطلسي".

في الحقيقة، إن مُناهضة السلام ليست بالأمر الجديد. ففي العام 1982، حذّر جوناثان شيل في كتابه عن عواقب الحرب النووية من أن العالم "وجد أنه من الأسهل بكثير حفر قبورنا بدلاً من التفكير في أننا نقوم بذلك فعلاً". ومن الأمثلة على ذلك، في جمهورية مقدونيا، وهي إحدى

[1] NATO's Imperialist March and Its Victims. https://www.counterpunch.org/2024/11/11/natos-imperialist-march-and-its-victims/

أحدث وأصغر الدول الأعضاء في حلف "الناتو"، أصبحت أي مُناقشة جادة للأسباب الأعمق للصراعات الجارية، أو عودة التهديدات النووية، من المحرمات. ولا يزال الخطاب العام في الغرب يُركّز بشكل ضيق على التحركات العسكرية كأمر مُعتاد، في حين تُركت القضايا الهيكلية الأعمق التي أوصلت العالم إلى هذه النقطة بلا فحص.

لم تكن الحاجة إلى المراجعة والتفكير والدبلوماسية والحلول المستدامة أكثر إلحاحاً كما هي اليوم. ومع ذلك، يبدو أنه من المستحيل أكثر من أي وقت مضى التقدم في هذا الاتجاه.

إذا قُدّر لي إعادة صياغة مقولة يوهان غالتونغ في الوقت الراهن، فسأقول إن هذا العالم لديه مشكلة اسمها الغرب و"الناتو"، الذي أصبح مجرد أداة لطموحاته الإمبراطورية. ومن المؤسف أن العديد من دول "ما بعد الاشتراكية" اعتقدت أن عضوية حلف "الناتو" تضمن لها السلام والأمن.

بالنسبة للكثيرين، أصبح الحلف هدفاً غامضاً، وكلما كانت الرغبة في الحصول على العضوية أكثر حدّة، زاد الثمن المدفوع لتحقيقها.

قِلّة من الناس يُدركون أوجه التشابه بين أوكرانيا ومقدونيا في مساراتها السياسية. فكلاهما استقلّا بعد تفكّك المنظومة الاشتراكية والسوفياتية، وكلا البلدين يتربّعان على جبهة جيوسياسية حسّاسة يُصمّم الغرب على السيطرة عليها مهما كان الثمن، وكلاهما وقع ضحية لموجة "الثورات الملوّنة".

في حالة مقدونيا، أدّى تغيير النظام فيما سُمّي بالانتفاضة الديمقراطية إلى فُقدان البلاد لإسمها وسيادتها الدستورية وهويّتها، على الرغم من أنها ضمنت في نهاية المطاف عضوية "الناتو". ولكن أوكرانيا تُخاطر بخسارة كلّ شيء ما لم يتبنَّ العالم مُحادثات السلام والمفاوضات، كما اقترحت مجموعة "بريكس" في إعلان قمّة قازان الأخيرة.

بل إنني سأذهب إلى حد القول إن نتيجة الصراع في أوكرانيا ستحدد مستقبل السلام والأمن العالميين. لا يمكن أن تكون المخاطر أكبر.

لقد أصبح من المملّ مُناقشة المعايير المزدوجة للغرب، خاصّة حين تسامح مع الإبادة الجماعية الإسرائيلية في غزّة ودعمها علناً. ومع ذلك، إسمحوا لي أن أقدم مثالاً مثيراً للإهتمام عن كيفية تعامل الغرب مع الدول التابعة له. عندما أُجبرت مقدونيا على التوقيع على ما يُسمى اتفاقية بريسبا، تضحية باسمها وهويتها في مقابل توسيع منظمة حلف شمال الأطلسي، كانت العبارة الأكثر اقتباسًا هي قول ثوسيديديس: فـ "الأقوياء يفعلون ما في وسعهم، والضعفاء يعانون ما يُفرض عليهم".

في أوكرانيا، يتغيّر السرد عن مقدونيا بشكل كبير ومفاجيء، حيث يستند إلى تصريحات حول انتصار عسكري محتمل ضد خصم أقوى بكثير. الرسالة خلف ذلك تقول: "لا تستسلم، قاتل حتى آخر أوكراني".

في الوقت ذاته، استسلمت مقدونيا، وتجد نفسها الآن متورطة في صراع لم يكن سكانها يرغبون فيه أبداً.

كان من المفترض أن يضمن حلف شمال الأطلسي السلام والازدهار وأمن الهوية لأعضائه. ولكن في حالة أوكرانيا، يراهن الغرب على رهانات وجودية، مما يدفع نحو حافة تصعيد نووي مرعب.

في الأيام الأولى للعملية العسكرية الروسية الخاصة في العام 2022، حضرت اجتماعاً افتراضياً أقامته شبكة المعاهد الأمنية التابعة لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، لمناقشة الاستجابات المحتملة. وبصفتي باحثاً من بلد يستعد لتولي رئاسة المنظمة، طُلب مني شخصياً أن أساهم بمقال.

كما هو متوقع، رُفض تحليلي بسرعة، لأنني وصفت الصراع بأنه حرب بالوكالة بين الغرب، أي "الناتو" والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، ضد روسيا.

لقد ناقشت أن الحرب في أوكرانيا لم تكن الصراع الأكثر قابلية للتنبؤ به في التاريخ الحديث فحسب، بل كانت أيضاً أسهل حرب يمكن منعها، لو لم يتبع القادة الغربيون أجندة خفية. ومع ذلك، كانت هذه الأجندة واضحة تماماً لموسكو، التي رأت تهديدها قادماً من بعيد، وكانت مُحقة في ذلك.

هذه الحالة ليست سوى مثال واحد عن العجز والتحيّز الغربي المتأصل في البنية الأمنية الأوروبية الحالية. كما ذكرنا سابقاً، يتم تصوير الأمم المتحدة على أنها مريض غير قابل للشفاء على فراش الموت. وفي الوقت نفسه، يعمل الاتحاد الأوروبي - رغم حصوله على جائزة نوبل للسلام - كذراع مدني لحلف شمال الأطلسي، أو بالأحرى، كمستعمرة للإمبراطورية الأمريكية المتدهورة.

في الوقت الحالي، يتركّز قدر كبير من الإهتمام على نتائج الإنتخابات الأميركية، وكأن الشخص الذي يشغل البيت الأبيض قادر على إحداث فرق حقيقي. لكن الحقيقة هي أن المجمع العسكري الصناعي والإعلامي والأكاديمي والترفيهي يزدهر على الحرب. إن توقع أي شيء جيد أو فعّال من واشنطن أو حلفائها سيكون مجرد أمنيات في أحسن الأحوال.

اسمحوا لي أن أختتم بياني بالتأكيد على أن هناك حلّ لهذا العالم المريض، وهو مجموعة "بريكس" التي تُمثّل الأغلبية العالمية. لقد أظهر هذا التحالف الناشيء عزمه وحضوره من خلال الدعوة إلى إنهاء الصراع الأوكراني، وتأييد الاعتراف بفلسطين كدولة مُستقلّة ومُتساوية داخل الأمم المتّحدة.

ومن أجل أي تغيير ذي مغزى، يجب أن يتوقف توسع حلف شمال الأطلسي، وأن يتجنب السير في طريق تدمير الذات، والمخاطرة بجر بقية العالم معه إلى الأسفل. لقد حان الوقت لتبني نظام عالمي جديد قائم على التعاون والمساواة والسلام.

***